

قراءة
في كتاب الليل

أحمد السويلم

قراءة
في كتاب الليل

الطبعة الأولى

١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق

القاهرة ١٦ شارع حواد حسي - هاتف ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٣٤٨١٤

بروكسل شارع شروق - لكسم : 93091 SHROK UN

بيروت ص ب ٨٠٦٤ - هاتف ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣

بروكسل . داشروق - لكسم SHOROK 20175 LE

قراءة كتاب الليل

تأليف
أحمد سويلم

دار الشروق

« بما أتعسنا نحن الشعراء

فقراء إذا صحنونا ..

آلهةٌ إذا غفونا »

أبو القاسم الفردوسي

لو!

- لو أملكُ أن أنزعَ
نفسى من أنيابِ الزمنِ الوحشية ..
- لو أملكُ أن تمتدَّ اللحظةُ حتى تصبحَ زمنا ..
أن تمتدَّ الخطوةُ
حتى تصبحَ دربا ..
أن تتوقفَ دوراتُ الأرض
تكفَّ الشمسُ عن السَّعى المحموم
أن تأتبنى أيامى القادمةُ - الآن -
أنسجُ منها عمرى
أصنعُ منها قدرى

أجعلُها أرضاً تخصبُ

بحراً يأتى بالخير

ينبوعاً للحبِ المتجددِ فى الأعين ..

- لو أملكُ

لو أملك أن أعزفَ لحناً علوياً فى أرضٍ عذراء

أن أسمعَ صخرَ الأرضِ تراتيلَ غناء

- لو أملك

لكن القدرَ العاقى يرصُدى بالعينينِ القاتلتين

يأبى أن ينمو عُشْبى شجرا

أو يصبحَ لحنى عشقاً ممتدا

أو يختصرَ الزمنَ بهذى اللحظة !!

لحظة صمت

- رائعٌ أن تكون على أهبة الحب
ثم يحيئك نَسراً يعانى الظماً ..
- رائع أن تظلَّ سَطوراً من الحُلُم
ثم تصيرُ الحروفُ شفاهها
تصيرُ عيوننا
تصيرُ قلوبنا
وتملكُ من موجك المبتدأ ..
- رؤيتي اتسعت في امتداد ذراعيْ
يالامتدادَ الرؤى .. وانهارَ المدد
وتضيقُ العبارة ..

أين احتمالُ الحروفِ .. وفيم البدد
والذى كان يأسرُنِي في الزمانِ القديم
تجددَ بين يدي .. واتقد ..

.....

- سيدٌ وجعِي .. وعميق
ومفترشٌ لغى .. طرقاتٍ من الجمر
فيها تسكَّعتُ
فيها كبوت
ولكنني الآن أعرفُكم تتقاطعُ في ناظرِي
المسافاتُ
كم يزحفُ الصمتُ يتركُ في القلبِ نافلةً
في غيابِ التواريخ .. قافلةً ..

- مدنٌ .. قد تغيب
وأخرى تقومُ جزائر ..
لكنَّ ما نغرسُ الآن ليست كهذي المدائن

- يا أيها اليم .. فُتَّتْ كما شَتَّ موجك
كلُّ الرذاذ الذي يسقط الآن فوق الوجوه
طيورٌ من العشق ..

يا أيها اليم .. هات المفاتيح
كلُّ المغاليقِ توشِكُ أن تصدأ الآن
لن تجدَ اليوم من يمنحُ القلبَ .. والعينَ .. والصلوات
استوِ الآن فوق الأكف
حاماً لأحلى الرسائل ...

نحن إليك انتماء

ونحن احتراق ..

ونحن ارتخاءً على الموج

- حين غرقنا .. انصهرنا مع المدِّ

لم يجرؤ الخوفُ أن يخنق الماء

لم يجرؤ الصمتُ أن يتمطى مع الليل

كنتَ الأمانَ لنا .. والطيور

وكنتَ الجنونَ .. الفتونَ .. العبير ..

- رائعٌ وجعُ العاشقين

نتطهرُ فيه .. فننمو نحيلاً يطولُ .. يطول

يشقُّ السماءَ جناحين ..

ورداً هناك .. وتعويذةً في العيونِ هناك

وبينهما الوجهُ يورقُ صَفْصَافَةً

والمسافاتُ لا تتعدَّى انفراجةَ كف

وفاصلةُ الأرضِ في القلب ..

- يا أيها اليم ..

صوتُ القصيدةِ يبدأُ من لحظةِ الصمت

والنورُ من بقعةِ الظل

كيف تؤرخُ هذا الزمانَ الجديد

ولا تتوخَّى الحقيقةَ والصدق ..

إنا ظللنا على أهبةِ الحب ..

حتى استوى الحبُّ في القلبِ ساريةً

أيها اليم .. جُدْ باحتوائك

إنا أتيناك من زمنٍ المستحيل .

الملكة

- مملكتي العشق .. وأنت التيجانُ الورديةُ .. أنت الشاراتُ ..
الأوسمةُ .. وأنت الملكة ..
- عندكِ ذاكرةُ الماضي تسقطُ .. كي تتجدَّدَ في شطيكِ سطوراً من
ألقٍ .. خطواً ممتداً .. نقشاً .. جمراً لا يهدأ .. مطراً يغسلني ..
تأثي غيمته من عينيكِ .. يطهرّني .. ويعطرّني .. ويلقّني كلَّ
طقوسِ الحبِّ .. ويُفسيحُ لي في الآفاقِ .. فيلقاني مَلَكٌ يحملني
فوق جناحيه من صحراءِ الحيرة .. يسألني عن وردتكِ الأولى ..
أنزعها من صدري .. تفتحُ في هذا الألقِ العلوي .. أطوفُ به ..
أتلاشي .. أشعرُ بالرعدة .. أسألُ عنك .. فيأثيني صوتك عبرَ
الريحِ يُسامِرُني .. أعبرُ لحظتها الصخرَ .. البحرَ .. الأسلاكَ

القاتلة .. وكتبَ الموتى الأحياء .. يُعاودُنِي الصوتُ .. فأعبرُ ..
لا توقفني أوجاعُ القدمين .. ولا تكسرنِي الرِيشةُ .. يقتربُ
الصوتُ .. فأصعده سبباً سبباً .. أغزو الأسوارَ .. ينزلُنِي
صوتُك .. أبتلعُ النارَ .. فأحترقُ الكونَ بلا ريحٍ عاتيةٍ حتى
ألفاك .. وبين يدي وردتُك الأولى أرشقُها في صدرك ..

- فتحت أبوابُ العمرِ القادمِ بين يديك .. وفتحت كلُّ بساتينِ
الورد .. وذقتُ حلاوةَ هذا الشهدِ الناريِّ .. وعافت نفسي كلَّ
بساتينِ الأرضِ الذابلةِ وألصقتُ شفاهي في صدرك .. فانطلقتُ في
آفاقِ الحلمِ عصافيرُ تشدو .. وتدنقُ طبولَ الفرح .. وتعزفُ أنغاماً
تُشعلُ في القلبِ نحيلاً خصباً .. أنهاراً .. ونقوشاً خالدةً .. وتجيء من
الغيبِ ملائكةُ الله .. فيهربُ من ساحتها الشيطانُ .. وتأنى
الجنياتُ .. ويأوى الملاحون إلى أرصفةِ البحرِ ..

هذا وقتُ لقاءك يامولائي .. في يدك عصاكِ القدسيةُ .. تضربُ
قلبَ الماءِ فينشقُّ .. وتهمسُ للعفريتِ ليأتني بالأخبار .. فيرحلُ ..
يرحلُ .. يرجعُ مشتعلاً غيظاً .. فتنادين عليَّ .. أجيئك من بين
غبارِ السفرِ .. ومن بين الأزمنةِ الراحلةِ .. ومن بين الوجعِ

المتوقد .. أشدُّو لحنَ الدفءِ .. وأسكنُ عينيكَ .. وأغلقْ هديكَ
على جسدي .. لا أبغى أن أشهد إلا هذا السرَّ المتجددَ .. أسترخي
فوق العشبِ الظامي .. يمتد جِواري نهرُكَ .. أتفياً ظلَّ نخيلِكَ ..
أنظرُ آفاقَ في عينيكَ الطيبتين ..

- مملكتي أنتِ -

وأنتِ الملكةُ - فاتنةٌ - تسقينَ السَّحَر

وتأوينَ القلبَ .

وتأتينَ بكلِّ الحبِّ ! .

١٨ - ١١ - ١٩٨٨

اليمامة

- ساهرٌ .. لا يقر
والشَّغافُ الذي قيَّدَ الجُرْحَ
ضاقَ به .. وانصهر ..
هل تفجَّرَ من نبعهِ النهرُ ..
أم صارَ نافورةً في الحجر ..
- أفتح الآن مملكتي
فترفرفُ فوق يمامة ..
وتخطُّ على كتفي .. تؤدي صلاةَ السَّحَرِ
ثم تفتحُ باباً إلى القلب
نهرًا إلى الدم ..

صفصافةً لحقولِ الشَّذا .. والسفر ..

- خفقةً .. خفقةً

دثرتني اليمامة ..

تُطلق سِرْبَ الحروفِ الذي لم تنله الرياح

تعيدُ القراءةَ في دفترِ العشق ..

أى هذا الغياب الحضور

وأى صدىً أستعيد ..

- يقظةً .. يقظةً

تستحثُّ خطاى .. وتختصرُ العمر

تُخمد زوبعةً في السؤال

وتُسكتُ صوتَ الظمأ

- إنه النهر ..

(يمكن أن تَنْزِلَ النهرَ ما شئت)

نهرٌ .. لم يجزِ حتى ضربتَ عصاك

على الصخر ..

ياشغفَ القلبَ والعين

أَمْسَى أَشْيَعُهُ الْآنَ
حِينَ هَبَطَتْ عَلَيَّ .. تُسْرِينِ لِي ..
وَتَرَوْنِ عَيْنِي نورا
تَهزِينِ نَحْلَ التَّرَاتِيلِ ..
- هذا دُمِي .. دَفْقَةٌ .. دَفْقَةٌ ..

سَاوَمْتُنِي عَلَيْهِ الْجَوَارِحُ
كَادَتْ تَعْتَقُهُ فِي الْمَنَاقِيرِ
هذا دُمِي ..

حَمَلْتَهُ الْبَرَائِكِينَ جَمْرًا
تَلْتَهُ الرِّيحُ .. شَدَا
أَسْقَطْتُهُ السَّمَاءَ كِتَابًا

.....

ضَحَكَتْ طِفْلَةٌ الْحُبِّ بَيْنَ ضُلُوعِي :
- إِنِّي أَتَجَدَّدُ فِيكَ
فَلَا وَقْتُ أَنْ تَتَذَكَّرَ عَمَرَ الْأَسَى
وَاقْتِفَاءَ الزَّوَالِيعِ ذَاكِرَةَ الْوَجْدِ

- فجأة .. فجأة ..

نزعني اليمامة من وجع المستحيل
وألقت على القلب ماء الفصول
توحدت .. ذبت بهذا الفناء الجميل
ساهر .. لا يقر ..

ساحة القلب مملكة أنت فيها الزمان الندى
استريحى على كتفى
اسمعى خفقة الحب تنتفض الآن مثلك ..
تسكن عشاء بعيداً عن الأرض
نحن بدأنا الرحيل معا .. سهراً بسهر
واحتكاماً لعينيك

والشعر

والعشق

والسنبلات

وكل الفصول ..

قراءة فى كتاب الليل

- ممتلئ شعرا

محتدم .. جمرا

أقربُ إلى شعلتكِ المتوهجةِ

فتجذبني ..

تدعوني أن أقبضَها ..

أن أعصرَها ..

أن أقذفَها فى الكون

فتضىُّ الليلَ .. وتمنحني سحرا ..

- أحيانا ..

تأسرني .. وتقيّدني .. تُلقيني فى البحرِ لعلَّ الموجُ

يطفئنى زمنا ..

- أحيانا ..

أقبضُها .. ألصقُها في عينيّ

أُغلقُ هديّتي عليها ..

أعبدُ فيها السّرا ..

- عيناكِ تحومان بليلِ الحب

وتخطّان على وجهي ..

أصلُ عيوني بعيونك

أنزع من عينيك أساها

من قلبك أستلُّ الآها

وأجرّدُ نفسي من نزواتِ الأرضِ

ووجعِ الليلِ ..

أخلّقُ في ملكوتكِ نَسْرا

يبنى مملكةً لك

يقبضُ من نخلةِ دجلةِ رُطباً

يجعله يمتدُّ إليك .. سبباً

يختصرُ الزمن
ويغزلُ كلَّ مسافاتِ الأرض
ويصل النهرَ بماء النيل ..
تطفو في هذا اليم جزائرُ حلمٍ خضراء
أصلحها .. وأقصُ العشبَ المتوحِّشَ إذ ينبتُ فيها
أبني معك عليها كوخاً لاثنين ..
- هل يعرف أحدٌ منا ماذا خلف البين
وَأين ..
أين نلاقِ القدرَ يداعِبُنَا ويصادقنا
ومتى يُسقطُ ثمراً في الكفين
ومتى يصفو ألَقاً في العينين
- هذا ما يملؤني شعرا
ويفتتني جمرا ! .

بغداد

٢٧ - ١١ - ١٩٨٨

لما حررتني الشعر

لا أكتُمكم ..
كان خجولاً يهربُ من ظله
كان يسيرُ جِوارَ الحائطِ ينظرُ في قدميه
حيناً .. يُفَلت من أعمدةِ النور
وحيناً .. تُدمى رأسه ..
كان يمرُّ على المقهى يسعلُ من أدخنةِ الليل
كان يرى العشاق .. يديرُ لهم ظهره
وكانَ صديقاً عند الله ..
نبيُّ يحملُ أسفارَ الحكمة

.....

لا أكتمكم ..
كان شقياً .. حتى طَوَّقَه الشُّعر
وكان أسيراً .. حتى حرَّره الشعر
وكان عيياً .. حتى أنطقه الشعر ..

.....

وانتصب الشعرُ بقلبي شجراً
يثمرُ كلَّ صباح ..
أحببتُ به .. وكرهتُ به
وسموتُ به ..

وهبطتُ به بين صعايلكِ العصر
قالت لي مرة :

- غيِّرْ لونَكَ واسترخِ على عرشِ الكلمات
وادخلْ بين أزقتها .. وامرَحْ في الساحات
لكني أسقطتُ العاشقةَ العصريةَ من قائمتي ..
وكتبتُ لها :

دونكِ غيري .. يمتلكُ القدرة

إني أوترُّ أن أحترقَ بجمْرِ الكلمات
وأودِّعَ كلَّ المعشوقات
إلا واحدةً تحملُ قنديلِي في الطرقات
تطفؤه الريحُ .. فتشعله مرّات
ينكسرُ .. فتصلحه مرّات ..
انتزعت عاشقتي العصريةُ قبضتها القفازية
لكمّنتي في وجهي ..
صاحت : لن يمحكَّ الشعرُ جناحَ بعوضة
وعلى أرصفةِ الليل
أجنحةُ ملقاةً .. ما شئتَ تخيّرَ منها
فتخلقُ فوق البشرِ .. وفوق الأبراج
قلت : وماذا بعد
قالت : لو أنك تُنصِتُ لي
لأنفتحت أبوابُ الساحات
وأحاطتك الأوجهُ والزينات
وغدت كلماتك في علب الليل

أحلاماً من ياقوت ..

.....

- لا أكتمكم ..

لما طوّقى الشعر

ولما حرّرنى الشعر

ولما أنطقنى الشعر.

غير جلدى الأملس .. عصياناً للمألوف

وجراحاً لا تبرأ أبداً

وبجاراً .. عاصفةً من عشق

كيف إذن أمسى عبداً

تتقاذفه السادة

والألوان ..

الخطأ

- مرة ..

غاب عن خاطري الشعر
وظننتُ الشروقَ انطفأ
وسمعتُ صريرَ الحروفِ يزلزلني ..
ويسوقُ إلى النبأ ..

- إن عينكَ ليستُ من الصقر
قلبكَ ليس من الحجر

خطوك فوق السفوحِ انكفأ
قلت : ما الذنبُ ذنبي
إني تأبطتُ عصراً من الحزن

عصراً من الفقر
عصراً من الموت
ما الذى يفعلُ الشعرُ لو يَحْتَرى
قيل : لو تصمتُ الآن
إنك فى خبرٍ قد يطولُ .. يطولُ ..
بلا مبتدأ ..

.....

- هل أرى الآن قدَرَ الخطأ
(ربما قد أتينا خطأ !)
ربما العجزُ سدَّ علينا الدروب
فغفلنا عن الحب
عن حكمةِ العصر
عن لغةِ الشعر
وعلانا الصداً ..
أى شىء تُرى قد يعيدُ لنا الوجه
أم أن تعويذةً .. قد تُبدِّلُ عصراً بعصر

فيجرُّفنا الموجُّ للمبتدأ ..
- ما الذي يتسلَّلُ يروى الظمأ
الصوابُ الذي أثقلته الخطى
أم جنونُ الخطأ ..

٢٨ - ١٠ - ١٩٨٦

ريهام

[في العام السادس عشر]

في طرفة عين
ملأت ريهام سواد العين
في طرفة عينٍ أخرى
حضنتُ حلم الكون ..
في العام السادس عشر
قبضت بين يديها قوسين ..
- نضجت ريهام .. وزغرد في شفثيها السحر -
وتصارعَ فيها الماضي والقادم
أثمرَ فيها العمر ..

- ما عادت ريهامُ صغيرة

لكن ..

ما زالت عندى فى عُمر الزهر
أرشقُها كلَّ صباحٍ .. كلَّ مساء
فوق شفاهى ..

أَصَقُّها فى عمقِ الصدر ..
وأغنيُّها أجملَ ما أكتبُ من شعر ..
- ملأت ريهامُ سويداءَ القلب
واستولت فيه على شلالِ الحب ..
وانطلقت أسئلةُ حيرى

تتقاطر من شفثيها .. كالدر
فأحضنْ دهشتها .. وأضحكُها
أنسيها الأسئلةَ الحائرة ..

وقلبى يشقُّ بالجمر ..
- ريهامُ تُفجِّرُ فى أعماقِ الصخر ..
تنبُشُ أشجانَ العمر .

لكنّ .. عيناها لى نافذةٌ تحلّو فيها الشمس
ويصفو فيها البدر ..

أنظر فيها العالم ..
أقرأ فيها العمرَ القادم
أسقطُ فيها بعضَ الأسوار
وأفسرُ فيها بعضَ الأسرار
- عيناها لى قدرٌ ..

يهتكُ فى داخلِ السرِّ
أرضى أن أخسرَ فيه كلّ العالم
أربحَ فيه بسمتها النورانية
أرضى أن أخسرَ فيه كلّ الأحلام
وأربحَ فرحتها الطفلية
أرسمَ كلّ خرائطِ خطوى القادم
لكنّ يكفينى أن ترسمَ لى بأناملها
بعضَ خطوطِ ذهبية
نضجت ريهامٌ .. وزغرد فى شفتيها السحر

نضجت .. وامتلكتْ عالمَهَا الحر

- كتباً .. أوراقاً .. أثواباً .. أسراراً من عطر ..

وحديثاً يأسِرُ أو يعسرُ

يحمل للقلبِ بكارته الدافئة

بليلٍ قَرَّ ..

- نضجت .. فبماذا أوصيها الآن

وأنا أخشى أن تنظرَ لي .. وكأني من أشباحِ رمادِ الماضي

- أحيما مازلتُ بسوْطِ الجلالِ .. وصوتِ القاضى .

هى تبغى لو يتغيرُ جلدى ..

لو يتبدلُ لونُ الخوفِ عليها فى وجهى

لو أمنحها حريةَ أن تحيا

أن تخطى

أن تدرك

حريةَ أن تبكى .. أن تضحك

.....

- باحت عيناها لى : لا تحشى ياأبت ..
هذا زمنٌ مختلفٌ عنكم
يرضى أن نلبسَ فيه جلدًا غير الجلد
أن تصبحَ كلُ الخطواتِ إليه مثلَ المد

.....

- ريهام تفجُرُ فى أعماقِ الصخر
ما عادت ريهامُ صغيرة
صارت تطلقُ فى أعماقِ أفراسِ العمر...

أنتِ

- إن لم تكوني أنتِ
تمزقين عند كلِّ مفريقٍ خمارَ الصمتِ
وتشرِّقين كلَّ ليلةٍ
بقصةٍ جديدةٍ .. ما اشتيتِ
إن لم تكوني أنتِ
تناجزين الموتَ ..
وتحملين شعلةَ الدفءِ إذا شكوتِ
لكنْتُ منذ اللحظةِ الأولى .. انزويتِ
ونلتِ مني المقتَ . !

.....

طغیان

- طاغِ فی قلبی نأیک

طاغِ صمتک ..

صوتک ..

لیک ..

شمسک ..

لا أبغی جبلاً یعصمُنی منک

أو أحداً یشعلُنی عنک

فأنا أتحرّر فی طغیانک !

.....

لو أن ..

- لو أن الريحَ بِساطٌ يهبطُ بين يديك
لو أن الشجرَ المتسكِّعَ في شطِّ الأنهار
يتناقلُ أشعاري حتى أذنيك
لو أن الشمسَ استرختْ في دعةٍ .
تَلِثُ هُدْبَيْكَ
(لانعدمَ الزمنُ ..
وضاقت كلُّ مسافاتِ الأشواق !)

.....

خروج

حين تجفُّ المدنُ ..
وتحتبسُ الريحُ وراءَ جدار
تسلُّ من بين شقوقِ النار
أفأعَى الزمنِ المنهار
أتمنى ساعتها أن يتفشَّرَ جلدى
أن يتناثرَ .. جَسَدى
أخرجُ من دائرة الأرض
ومن ذاكرةِ الإبصارِ !

.....

طير

- في الليل أشاعُوا عنك ..
(نامت في أحضانِ غريب
غابت ..
وتخطَّفها الطيرُ الجارح)
حين بكَّرنا .. وتساءلنا
كانت أيدينا داميةً ..
كنا الطيرَ الجارح .. !

.....

.....

نوق النعمان

- حين قضوا أن أغربَ عنهم
وأجىء بنوقِ النعمان
كان الزمنُ بقبضةٍ كفى
ومسافاتُ الأرضِ أمامي .. خطوة
لكنى لما عدتُ إليك
انفرطَ الزمنُ وحوشاً جائعةً ..
تأكلُ نوق
وتخطُ الليلَ على عيني . !

.....

القادم

- أقف على ناصية الليل ..
الناس هنا مشغوفون .. ومهمومون
منهم من خاصر محبوبته .. يغزل عرشاً
في أودية العشق ..
منهم من أعطى ظهراً للناس ..
يغوص خلال زجاج المعروضات
يتحسس حافظة نقوده ..
ويقطب جبهته .. ويسير بعيداً !
منهم من ينظر في قدميه كمن يبحث عن شيء ضاع
منهم من يسرع ..

من يبطئ ..
من يهذى ..
من يترنح ...
لكنى - وحدى -
أقف على ناصية الليل .
تشغلنى أسئلة تأتىنى من ضوضاء المارة :
(لماذا يقهرنى الليل .. ويبقىنى أحرس ناصيته
أرقب فى سخط .. حلم العشاق
وفرّح العشاق
ولا يأتينى القادم فى الغد . !)

الحلم

- أَسْمَعُ صَوْتَكَ مُوسِيقَى بَيْنِ الْأَصْوَاتِ
أُحَسِّسُهُ ..

أَلْمِسُ قِسْمَاتِهِ
أَتَشَمُّ عَطْرَهُ ..

(حِينَ تَجِيُّ الرِّيحُ بِأَصْوَاتٍ خَادِعَةٍ
أُعْطِيهَا ظَهْرِي ..

لَا أَسْمَحُ أَنْ تَغْرُوبَنِي

حَتَّى يَأْتِيَنِي صَوْتُكَ فِي عَرَبَاتِ الشُّوقِ
فَتَطْلُعَ مِنْهُ شَمْسُ الْحَلَمِ الْقَادِمِ !)

.....

المستحيل

- حلماً ألقاكِ
ودفناً ممتداً .. نتعانق
ذاكرةً لا تهدأ - حين يفرقنا الليل -
(أى خطي ساخطة
يمكن أن تسحقنا بعد . ! ؟)

.....

أوسمتى

- أرحلُ في مدنِ العالمِ
في ذاكرةِ الأشجار
وذاكرةِ الآبار
وأرحلُ بين متونِ الأسرار
(لكنى .. لا أجنى أوسمتى إلا في عينيك !)

تجربة

- كان حين انطلقنا معا
كان مثليَ يعشقُها .. ويطيلُ التعب
كان للنهرِ في القلبِ مجراه
للنخلِ .. مثواه
كانت الأرضُ إيوانَ مسجد ..
- كان حين انطلقنا معاً .. أصدقاء
نتقاسمُ وُدَّ الجميلاتِ في قاعةِ الدرس
أكتبُ فيهنَّ شعري
وأرسمُ أحلامهنَّ على صفحةِ النهر
- لكنَّه لم يكنْ شاعرا -

ثم نمضي معا ...

.....

- مرة .. جاعني ساخطا

حاملاً في يديه جَوَّازَ سَفَر

يومها .. كادَ قلبي يكفُّ عن الحُفَق

تمنيتُ لو شُقَّتِ الأرضُ .. لو بلعْتنا معا ..

- (عهدُنا يا صديق

نعيشُ على ضِفَةِ النهر

نُلْقِ بِأثْقَالِنَا .. نتحملُ هذا الضَجَر .

فلماذا السَّفَرُ؟ ..)

قال : صوتُ الدنانير في داخلي ينتصر

نهرُنا يا صديقي كان يَفِيضُ على الضِفَتين

ما الذي أمسك النهرَ فاصفَرَّ وجهُ السماء ..

قلت : للنهرِ مثلَ الجواد

كِبْوَةٌ .! ويعود

صاح : إني أسافرُ حتى يعود . !

قلت : تهربُ من ساحةِ الصبر

أين عهدُ الصِّبا بيننا

أين ما كنتَ فيه تجادلُ حولَ الوطن ؟ .

قال : كنا نخادعُ أنفسنا .. ونثرُثُرُ في الطرقات .. ونهتفُ في قاعةِ

الدرسِ .. كنا صغاراً .. نُلَقِّنُ حباً عقيماً .. ونُسألُ

فيه .. ونفرغُهُ في الدفاترِ .. نُلقيه في آخرِ العامِ في

عرباتِ القمامةِ .. ثم نعودُ إليه .. نلوِّثُهُ .. ونزيِّتُهُ .. ثم

نُسالُ فيه .. ونفرغُهُ . نتخلصُ منه ونمنحُ في آخرِ الشوطِ

صلكُ العبورِ إلى سنةٍ قادمة ! ..

قلت : والحزنُ يعصرُنِي :

ربما العيبُ فينا ..

صاح مخترقاً أضلعي :

- ليت من علَّمُونَا أحبُّوا من القلب

كنا منحنا المحبةَ صادقةً .. والفؤاد

ليتهم ينتحونَ قليلاً .. فيندفقُ النهرُ

يغسلُ أعماقنا .. وتجفُّفُها الشمسُ

حتى نفيقَ على الحُلُم والحزنِ والوجعِ السرمدي .
إنني الآن أرحلُ
ألبسُ أرديةَ الزاهدين
وألبسُ أقنعةَ المارقين
فلكل لباسٍ .. ثَمَنٌ .. !

.....

- لم أعد قادراً أن أعيدَ صديقيَ إلى ضِفَةِ النهر
تلقيتُ منه خطاباً أخيراً يقول :

- يا صديقي

إذا كنتَ مازلتَ تحفظُ بعضَ عهودي
فأنا قد نسيت
وإذا شئتَ .. ألقيتها الآنَ في النهر
كي تستريحَ .. !

طقوس زم الفم

- بعينى حين يفاجئنى الليل .. أسئلة

وبكفى رائحة لغبار النهار

وحبر الجرائد

والكتب الجاهلية ..

والشوارع فى داخلى الآن نهر كثير الروافد

(إن يقبل الليل .. يطو إلى الصمت أطرافه

فتزيد البلية ..)

- طويت صفحة البوح من زمن

واختفت شهر زاد الجميلة

والفقير الذى كان يشكو قديما

تَحَلَّى هُنا عَن فِصاحَتِهِ

.....

قلت : أُخلعُ ثوبَ الترقبِ والشعرِ
أُبعدُ نفسىَ عَن صَفقاتِ الرفاقِ
وعن جدلِ القولِ - حولِ الذى كانَ أو ما يكون -
وعن أمسياتِ تَرَوُّقِها الكلماتُ
وتُزجى الفراغَ الذى ينهشُ القلبَ ..
قلت : الشوارعُ وجهى .. وصوتى
والأمسياتُ .. ودفءُ المواعيد ..

.....

- متخمةٌ ياعيونَ الشوارعِ بالدمعِ
- لكننا نحسبُ الدمعَ ضوءَ القناديلِ
- مطفأةٌ يانجومَ المدينةِ تخلو سماءُ من الحلمِ
- (لكننا الشعرُ يوهمُنا بالحكايا الدفيئة)
- معذرةٌ ياعيونَ المدينةِ .. إنا رصدنا الوجوهَ طويلا
- فلا طائلَ الآنَ أن نتأملَ بالشعر ..

إِنْ أَقْفِ الْآنَ سَوْفَ تَدَاهِيْنِي الْخُطُوَاتُ
وَتُسَحِّقْنِي اللَّعْنَاتُ

وَتَأْكُلُ وَجْهِي عَيُونُ الْمُرَابِّينَ ..

- تَجْذِبْنِي مَلْصَقَاتُ الشَّوَارِعِ

أَنْظُرُ فِيهَا اللَّغَاتِ الْغَرِيبَةَ

أَنْظُرُ فِيهَا وَجْهَ الرِّجَالِ .. وَجْهَ النِّسَاءِ الْجَدِيدَةِ

أَسْأَلُ نَفْسِي :

مَتَى يَنْظُرُ النَّاسُ وَجْهِي فِي الْمَلْصَقَاتِ

وَفِي الصَّحَفِ الْمُسْتَبَاحَةِ

أَصْبَحُ نَجْمًا يَحِيطُونَ بِي

وَأَوْقَعُ أَوْرَاقَهُمْ بِابْتِسَامَةٍ !!

- لَا طَائِلَ الْآنَ مِنْ ثِقَلِ الشَّعْرِ

وَاللُّغَةِ الْقُرْشِيَّةِ

وَالْكِتَابِ الْجَاهِلِيَّةِ

وَالنَّحْوِ وَالصَّرْفِ .. وَالْأَبْجَدِيَّةِ ..

(وَالْوَطَنُ - الْحُلُمُ - مُسْتَعْرٌ فِي الرَّمَالِ)

- يفجّر نخلًا .. وجرحا
 ولونُ الشهادةِ في أعينِ الثاكلات
 ولا يطفىُّ الجمرَ .. ما يفعلُ الشعرُ !)
- تلك الشوارعُ يملؤها الناس
 والناسُ لا يعرفون الطريقَ إلى قاعةِ الأمسيات
 يتبارى بها الشعراءُ .. وهم يلبسونُ الثيابَ الأنيقة
 يشكونُ ملءَ القصائدِ جوعَ البطون .. وعُرىَ الجسد ..
- كيف للقلبِ أن يتبدد ..
 والشوارعُ يملؤها الناس
 والناسُ لا يقربون المحافلَ - يختلف المترفون عليها
 يقصُّون عن عبقريةِ (موزار)
 أو ريادةِ (باوند) للشعر
- ونسوا يوم ضاقَ بهم واحدٌ فتغذى بلوحاته النيلُ
 ثم بكى .. وارتحل ! .
-
- فجأة .. أتوقفُ في المنعطف

بلادی

[بلادی وإن جارت علیّ عزیزة
وأهلی وإن ضنوا علیّ کرام]

- وقوفاً علی بابک الآن
- هل تضعین المساحیق - مازلت -
- أم أن وجهک أعیا الأطباء حين اعتراك الوهنُ
- شحوباً علی ربوة الأمس
- هل تندبین التوايیت - مازلت -
- تحتملین المحنّ ..
- أمدّ یمنی .. امنحینی کتابک
- (هذا المدمّی بلون صباک)

- امنحني كتابك .. أقرأ آياته الآن

أُنزِعُ صمتَ الكفن ..

فالصحابُ على ضفةِ النيلِ

لم ييخلوا بدماءِ القلوبِ عليك !

(التواريخُ تشهدُ

صخرُ جبالِكِ يشهدُ

هبُ العواصفِ يشهدُ

وقعُ خطاكِ من البحرِ للبحر ...

يشهدُ أنا لكلِ المحنِ !)

- قيل : كم تدفعُ الآنَ للعشق

(كلَّ الثمنِ . !)

افتحوا الآنَ صدرى .. كم تشهدون به من دِمنٍ

قيل : سيدةُ السقمِ تخلعُ في الليلِ أثوابها

لترتقَ ما أحدثته الشظايا نهارا

فيسكنها البردُ ملءَ البدنِ

- إنها الآنَ غارقةٌ في الدماءِ

- يا حادينا ..

هل تسأل عن قافلةٍ كانت تسرى بالحب

أم أنك تسأل عن نخلتك السماء

لكم أسقطناها رطباً في أيدينا

ثم تقافزنا .. نحضنها عبرَ مدقاتِ الحقل

فتساقطُ منا - ترسُمُ درباً من ثمر -

فيلاحقنا الحارسُ في يدهِ سكينٌ .. وبقايا سعف ! .

- كنا مثل القمحِ سنابل .. نضحكُ .. نضحكُ

لا يهزمُنا الخوف ..

فماذا أصبحنا ؟ .

شعراء .. فقراء .. واللهِ

- نتأمل بالشعر .. ونحكي قصتنا لليل

لكنَّ نجومَ الليل تراوغُنا .. لا تسمعنا

- نغرسُ حُلماً في طرقاتِ العشق

فتؤلد في الفجرِ الأزهار .

وتذبلُ في الفجرِ الأزهار ..

فالكلمة سيفٌ إن يكسر يوماً
سقطَ الفارسُ .. وانفطرَ الشعرُ ..
قالوا : فلسفةٌ يُعوّزُها البرهان
ما أعجبكم .. فقراء ..
وموائدنا .. تدعوكم كلَّ أوان
ما أجهلكم .. شعراء
وليالينا .. مفعمة الألوان
نعمٌ وارفةٌ .. وفنونٌ .. وجنان ..
قالوا - فيما قالوا - :

(العالم سيركٌ للألعابِ النارية
من يحرزُ سبقاً .. يصعدُ للأدوارِ العلوية ..)
لكننا ياشاعرنا - مثلكَ - أجمنا أنفسنا
لم نتدربَ في الحلبة
كادت تقتلنا الأفيالُ .. وتأكلنا الدببة
فخسرنا اللعبة ..
وتعانقنا في وهجِ الشمسِ .. وتحت ظلالِ اللغةِ الصعبة ..

أحزان عروة بن الورد

تأخذين برأسى كلِّ مساء
تجيدين هدهدة القلب
تحتملين غبارَ المسافاتِ .. عصفَ الحكايات
عيناي تلتئمانِ .. تحطَّان فوق عذوبةِ صدركِ ..
أقضمُ خبزي المندى بصوتكِ
- يؤنسني في ليالي التوجس والغزو -
يزرعُ في الصحراءِ نحيلاً .. إليه أفيءُ
وأغمضُ عيني ..
أحلمُ أني بصدركِ طفلُ التوهج ..
- أنكرتني القبيلةُ منذ ولدت ..

يَحِيلُونَ سَقَطَ الرِّجَالِ مَلُوكًا عَلَى الْأَرْضِ !!

شَاهَ بِهَا الشُّعْرَاءُ ..

- مِنْذَ هَاجَرْتُ .. سِيفِي أُشْرِعُهُ فِي الْوُجُوهِ الْكَثِيبَةِ

حَرَفِي أَنْفِذُهُ فِي الْقُلُوبِ ..

لَعَلَّ الْحِجَارَةَ تَسْقُطُ

أَبْنَى سِيَاحًا مِنَ الْحُبِّ ..

أَفْتَحْ أَبَاً مِنَ الدَّفْنِ .. لِلْأَشْقِيَاءِ ..

- أَقْبِلْنِي - كَمَا جِئْتُ مُلْتَجِّئًا ..

اجْعَلِي الْحُبَّ بَيْنِي وَبَيْنَكَ مُبْتَدَأَ

إِنْ شَعِرَى مِنْذَ سَمِئْتُ الْقَبِيلَةَ مُشْتَعِلٌ فِي الْعَرَاءِ

لَا تَطِيلِ التَّسَاوُلَ عَنْ سَفَرِي فِي لَيَالِي الشِّتَاءِ ..

- إِنْ سِيفِي مَلِكٌ يَمِينِي .. مَازَالَ

وَالشُّعْرَاءُ ..

يَرِيقُونَ مَاءَ الْوُجُوهِ ..

يَكِيدُونَ لِلشُّعْرِ ... وَالْوَطَنَ - الْخَضْبَ -

- أَيْقُظِي الْآنَ عَيْنِيكَ

- كان العالمُ من تحتي قبضةً كف
والريحُ تسايح ..
- ولونُ الشمسِ رذاذاً فوق غصونِ الأشجار
- تساءلتُ : إلى أين ..؟
- في لحظةٍ عَيْن ..!
- هبط الملكُ النوراني ..
- أنزلى في صحراءٍ ... قال :
- هذا قدرُكَ يامسلوبَ الخطو
- انظر قدامَكَ أو خلفَكَ .. تعرفُ ماذا ينتظرك
- كانت صحراءُ قانيةٍ تسبحُ في موجِ سراب
- قلت : لعل الشمسَ استعرت
- فقبضتُ الرملَ بكفى .. قبضتُ دماً مازال ندیا
- فارتعدَ القلبُ وزاغتُ عيناى ..
- تلفتتُ .. فلم أجِدِ الملكَ النوراني
- أسرعتُ .. أصبحُ .. أصبحُ .. أنادى
- فارتد الصوتُ عليلاً في أعماق ..

حدّقتُ النظرَ طويلاً .. ثار غبارٌ .. أخذته الريح بعيداً

- هذا سورٌ .. أم بيتٌ مهجور-

أسرعتُ إليه .. درتُ كثيراً حولَ السورِ .. تسللت

- أكوامُ رمالٍ ..

بابٌ مكسورٌ .. ونوافذُ تصفّرُ فيها الريح

وأحجارٌ متناثرة

لُعبٌ .. أوراقٌ .. أقلامٌ .. وحقائب

رائحةٌ للموتِ .. مقاعدٌ متخاذلةٌ ..

أقصةٌ دامية

وحكاياتٌ ناقصةٌ فوقَ شفاهِ الأطفالِ ..

- خففتُ الوطءَ قليلاً

يتدلّى جرسٌ من فوقِ جدار

مازال أبو ياسرٍ يُمسِكُ حبلَ الجرسِ

وينظرُ في ساعته الرقمية

والأطفالُ .. أراهم في غُرفِ الدرسِ

نياماً فوقَ موائدهم ..

نحن حكاياتٌ متجددة ..

فاقرع أجراسك للسادة ..

لا تفرعها للأطفال ! ..

.....

- انهار الصمتُ بقلبي .. فتفجّرَ جمرًا

وتقاطر من عينيّ دموعاً .. غمرتُ جمجمةَ الطفل

انطلق دخانٌ يصّاعدُ .. يصّاعدُ .. يشق :

- صوتُ طبول .. وزئيرٌ وحوش

وشظايا ..

ألقيتُ بنفسي في أقربِ حفرة ..

وضممتُ إلى صدري كلَّ جهاجمٍ أطفالي ..

.....

- واجهني الملكُ النوراني :

(الآن تخيّرْ أقدارك !)

قلت : الجرسُ الصامتُ يقرعُ رأسي

لكنَّ جهاجمَ أطفالي .. تشطرنِي نصفين

قال : احملها معك الآن
واضرب كلَّ رءوس السادة
وانثرها فوقَ موائدهم
واملأها بشرابٍ يوقظُ فيهم ماغابَ ..
ومامات !

.....

- لا أكذِبُكم ياسادتنا
أسريتُ الليلةَ .. واستعرتُ أعماقَ
أبحثُ فيكم عن صِدِّيقٍ واحدٍ
يحملُ مثلي هذا القدرَ الدامي
ويدقُّ الأجراسَ !

الصيد

حدَّثته .. حدَّثنى
ولم يزدْ عن جملةٍ واحدة
ثم اختفى فى الموج ..
ألقيتُ ما أحملُ من شباكى
قرأتُ سورةَ البحر .. وسورةَ الصحراء
وكلَّ ما لم تُنزلِ السماء ..
أشعلتُ فوق الشاطئِ البخور
ألقيتُ التائمَ المرصودة ..
لكنه غاب .. وأمعنَ الغياب ..
أنصتُ .. صوتُ طفلى التى اصطفاها الموج

يوماً .. وحدها ..
أنصتُ .. صوتُ مائقَصَّتْ به الضلوع
مايَشْرِقُ في الخلق ..

نزعْتُ قلبي من إساره
قذفتُهُ في البحر .. حتى يستجيب
زُلزِلَتْ مفاصلُ البحر .. وملأ الفضاء ضِحْكَاً
يا أيها القاصمُ ظهري ألفَ مرةٍ
أريدُ فُلْكَاً

هزأتَ بي ..
أسقطني العالمُ من حسابِهِ
وراهنَ الملحُ علىَّ الجَمَر
زُلزِلَتْ مفاصلُ البحر .. وملأ الفضاء قُصْفاً
غامت بعينيَّ السماء .. هل أنالُ حَتْفاً
وخطوى الموءودُ لم يُسَعِفْ شباكي بعد
وطائرُ النورسِ لم ييجيْ في موعدة ..
- أنذرني البحر .. استقرَّ تحت جلدي ملحُهُ

ظمئت ..

قال : غاب الوطن القديم في جوفى

كما يغيب كلُّ شئٍ ..

فأدِرْ لى ظهرك الآن .. ولملم الشباك

واحملها على الكتفين ..

فربما جنّة تُبعثُ من قلب الرمال لك

تقولُ : (شَيْكَ وَلَيْكَ ..)

وربما ..

تصنعُ من خيالها الوطن ..

قلت : فقدتُ القلبَ في موجك

من أجل الذى يغيب

وحرفتى .. أصيدُ في الماء

ولا أصيدُ في الصحراء ..

- زلزل البحر بضحكِهِ الفضاء

غامت السماء

تساقطت فوق الرمال سحباً .. وموجا

٠ هل تصلح الشباك أن تصيد فى البحر الجديد
وطنا ! .

١٩٨٨ - ٦ - ٥

التباس

من يصدِّقُ من ..

من يكذبُ من ..

النبوءاتُ تأتي من البحر

والبحر لا يستقر ..

والعبابُ الذي ثار من لحظةٍ

يترك الآن فوق العيون الزَّبد

ثم يسرعُ .. يُفلتُ عن قبضة اليد ..

....

من يصدِّقُ من

من يكذبُ من ..

يحرق الآن أصباغه ..

يتسرب من فتحات الأصابع

- هذا الزمان غريبٌ على الأزمنة

أترى الآن أشجاره

كيف تفقدُ أثمارها وهى تشمخ فوق الرمال

- أترى الآن فُرسانه

يختفون وراء الحوائطِ كالنسوةِ العاقرات

- أترى الآن كيف يهْمُ الصغار

وقد حملوا فى الجيوبِ الحجار

عليها دُمُ الكلمات . حروفُ الوطن ..

- قال لى صاحبى :

إن هذا زمان الكبائر

هذا ضياع المصائر ..

من يشرب الكأس .. ماتت لديه الضمائر

أترى الآن كيف تناثرَ بين الدروبِ الرفاق

تاركين على السفح رايتهم .. راحلين

سوق عكاظ

أَجَلْ الآن هذا الحُداء
تتوخَّى القوافل أن تتلكأ في الظلِ
حتى يتم لقاء المحبين ..
حتى أرى الشعراء يميلون نحو القباب
قُبَيْلَ الرحيل ..

أَجَلْ الآن هذا النداء العليل
إنها السوقُ تنفضُ .. هل من سبيل
والقصائدُ تزفُ أحرفها في التلول
وثأرٌ جديدٌ يثور
وثأرٌ قديمٌ يزول ..

أَجَلُ الآنَ هذا الصراخ ..
إنها السوقُ مهْدُ الحكايات
تعصفُ حيناً بفُرسانها الفاتحين
وحيناً تفاخرُ بالقاعدين
ولاشيء يبقَى سوى دمعاتِ الصغار

— بنا .. نبكُ ذكرى الديار
ونبكُ انتظارَ النهار
وأوجاعَ من يرحلون
إن قيساً مع القاعدين
وليلي مع النائمين
ورزةٌ جليلةٌ مازال يُنبِتُ في الرمل
ورداً .. وصفصافةً .. وأنين
وبين الخنادق ألفُ قتيل ..

— أَجَلُ الآنَ ماسوف يأتى
وما سيكون ..
أجلُ الآنَ هذا النواح .. وأوقفُ رياحَ الحنين

قصائد الديوان

صفحة

٧	- لو
٩	- لحظة صمت
١٣	- الملكة
١٦	- اليمامة
٢٠	- قراءة في كتاب الليل
٢٣	- لما حررتي الشعر
٢٧	- الخطأ
٣٠	- ريهام
٣٥	- شظايا
٥٥	- تجربة
٦٠	- طقوس زم الفم
٦٥	- بلادى
٧١	- أوسمة الفقراء
٧٦	- أحزان عروة بن الورد
٨١	- إسراء (إلى أطفال الحجارة)
٨٧	- الصيد
٩١	- التباس
٩٦	- سوق عكاظ

للشاعر

شعر

١٩٦٧	دار الكاتب العربي	- الطريق والقلب الحائر
١٩٧٠	مؤسسة التأليف والنشر	- المحررة من الجهات الأربع
١٩٧٣	دار الناشر العربي	- البحث عن الدائرة المجهولة
١٩٧٧	مكتبة مدبولي	- الليل وذاكرة الأوراق
١٩٨٠	هيئة الكتاب	- الخروج إلى الهر
١٩٨٥	دار الشروق	- السفر والأوسمة
١٩٨٦	مكتبة مدبولي	- العطش الأكبر
١٩٨٧	هيئة الكتاب	- الشوق في مدائن العشق

المسرح الشعري :

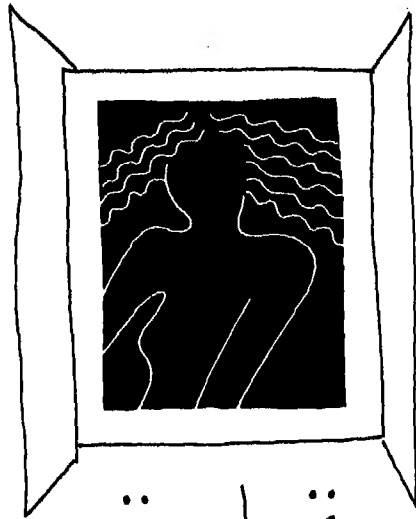
١٩٨٢	دار المعارف	- أخناتون
١٩٨٣	هيئة الكتاب	- شهريار
(تحت الطبع)	هيئة الكتاب	- عنزة

دراسات :

- ١٩٨١ - شعرنا القديم رؤية عصرية المجلس الأعلى للثقافة
- ١٩٨٤ - المرأة في شعر البياتي هيئة الكتاب
- ١٩٨٨ - أطفالنا في عيون الشعراء دار المعارف (ط٢)
- ١٩٨٦ - محمد المराوي شاعر الأطفال المركز القومي لثقافة الطفل

للأطفال :

- ١٩٨٠ - حكايات من ألف ليلة وليلة (٥ حكايات) دار الشروق
- ١٩٨٨ - عشر مسرحيات شعرية مؤسسة الخليج العربي
- ١٩٨٩ - حكمة الأجداد مؤسسة الخليج العربي



قراءة
في كتاب الليل

أحمد السويلم